

المستقبل كمحرك للمجتمع

2019-01-23 محمد عبد الجبار الشبوط

حركة المجتمع التاريخية هي نتاج المحتوى الداخلي له. والمحتوى الداخلي يتالف من فكرة +إرادة، الفكرة تحدد الهدف الذي يسعى المجتمع الى تحقيقه، وقد تكون الفكرة او الهدف مثالا او نموذجا مشتقا من الماضي. وهذه حركة تكرارية لا جديد فيها، وقد تكون الفكرة او الهدف مشتقة من الحاضر، وهذه حركة موضعية تجعل المجتمع يدور حول نفسه، وقد تكون الفكرة او الهدف مثالا او نموذجا اعلى لم يتحقق بعد، فهو صورة مستقبلية يراد بناء حياة المجتمع على اساسها. تتجاوز هذه الصورة المستقبلية ما حققه المجتمع في الماضي، كما تتجاوز ما عليه الحال في الحاضر.

وهذه من علامات المجتمع المتحضر. فالمجتمع الحضاري لا يَنشُدُ الى ماضيه او حاضره بشكل يعيقه عن التحرك نحو مستقبل افضل من الماضي والحاضر. انما هو يعيش حاضره وعينه تنظر الى مستقبله. اما المجتمع غير الحضاري، اي المجتمع المتخلف، فهو يعيش حاضره وهو مشدود الى الماضي، ومقيد باغلال الحاضر "واخذ الى الارض". هذا المجتمع مسكون بالتاريخ، مسجون بالحاضر، لا تمتد عيناه الى المستقبل. فهو خارج حركة التاريخ، ولا يستطيع ان يتقدم، او يبدع، او ان يغير واقعه المعاش بافضل منه، لانه لا يملك في محتواه الداخلي صورة مستقبلية افضل. الماضي المجيد هو مثله الاعلى، و الحاضر التعيس هو قدره.

اضافة الى فقدان الصورة المستقبلية، فان المجتمع المتخلف فقد الثقة بنفسه على التغيير نحو الافضل. اليأس من اشد علامات التخلف. والاستسلام للواقع المرير هو التخلف بعينه.

غياب الصورة المستقبلية، وانعدام الثقة بالنفس، تعني ايضا ان المجتمع فقد الطاقة الحرارية او الارادة الثورية التي تدفعه الى الحركة والتغيير. ولا يصعب على هذا المجتمع ان يجد الاسباب والاعذار التي يتحجج بها لتبرير قعوده واستسلامه. فمرة يذكر "عدوا خارجيا" سيطر على مقدراته، ومرة يذكر قوى داخلية تمنعه من الحركة، واما #العم_للفردى فلا يخطر على البال بسبب الخوف

على المصالح الفردية وعدم الشعور بالمسؤولية الذاتية.

هذه هي حالة المجتمع العراقي حاليا:

غياب الصورة المستقبلية.

انعدام الثقة بالنفس.

فقدان الطاقة الحرارية الدافعة للعمل.

ولذلك لا تجد دعوات التغيير والحركة بيئة صالحة للعمل والنشاط العام.

وهنا يأتي دور "الرواد" في المجتمع، وعادة لا يخلو مجتمع مهما كان منهم، ومهما كان عددهم. وقد يكون هؤلاء الرواد كتابا او اعلاميين او فنانيين او رجال دين متنورين او غيرهم. وظيفة هؤلاء العمل التطوعي على خلق بيئات صالحة في اماكن متفرقة في المجتمع.

والبيئة الصالحة تتألف من:

اولا، صورة مستقبلية لواقع افضل ينبغي ان يتحرك المجتمع نحوه بتغيير الواقع المعاش.

ثانيا، الامل والثقة بقدرة المجتمع على تغيير نفسه وواقعه نحو الصورة المستقبلية الافضل.

ثالثا، روح العمل والنشاط و طاقة حرارية دافعة للحركة.

وهذا هو بالضبط ما يقوم به المؤمنون باطروحة الدولة الحضارية الحديثة.

فهم يقدمون للمجتمع صورة تفصيلية للمستقبل الذي سوف يشهد قيام الدولة الحضارية الحديثة.

وآحاولون زرع الثقة بالنفس عند أفراد المجتمع، وآيمانٍ بآمكنآة آغير الواقع الفاسد المتآلف المعاش.

وأخآرا يقومون بآشآع الأفراد وحثهم على العمل والاندفاع نحو بناء الدولة الحضارية الحديثة.

وبسبب النقاط السلبية الآلاث المذكورة انفا، يواجه رواد الآغير ردود فعل سلبية وحملاآ تشويه للفكرة وآسقيط لروادها، على قاعدة "لا أرحمك ولا أخلي رحمة الله تنزل عليك!" فلا هم يآلعون رداء الآأس والاحباط والقعود، ولا هم يآركون المواطنین الفعالین يبذلون آهدهم من آجل الآغير. ولكن لأبد من آآاهل هؤلاء وآطويآهم.

.....
* الآراء الواردة في المقال قد لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المنعمومآة.